# المورد


مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الرابع والثلاثون

العدد الثاني - ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ



رئيس مجلس الإدارة
د. عامر حسن فياض

رئيس التحرير
د. محمد حسين الأعرجي

الهيئة الاستشارية
د. نجاة الحديثي
د. عماد مطر الموسوي
ا. يوسف كريم الركابي
أ.د. نوري جعفر سلوم
خالد المطلبي
الاستاذ حسن عربي

هيأة التحرير
نائب رئيس التحرير
احمد عبد زيدان

سكرتير التحرير
محمود الظاهر

التصحيح اللغوي:
سليم سلمان
نجلة محمد
امل عبد الله

الإشراف الفني والتصميم
جنان عدنان لطيف
ياسر بدر ياسم



**الأسعار**

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: ديناران، الإمارات: ٢٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ٣ دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ رهماً.

**عنوان المراسلة**

دار الشؤون الثقافية العامة - الأعظمية - ص.ب: ٤٠٣٢ بغداد جمهورية العراق
هاتف: ٤٤٣٦٠٤٤

**المشاركة السنوية**

٥٥ دولاراً في الأقطار العربية.


لوحة الغلاف/ رافع الناصري


Email: dar-iraqculture@yahoo.com

# المحتويات


* كلمة رئيس التحرير ٣ ـ ٤

* [illegible] ..... أسماء حسن الأعظمي ٥ ـ ٢٢

* [illegible] ..... [illegible] محمد الحسن ٢٣ ـ ٣٢

* [illegible]

في الفرزدق [illegible] ..... د. طارق نافع الحمداني ٣٣ ـ ٤١

* [illegible] ..... د. وليد عبد المجيد ابراهيم ٤٢ ـ ٤٦

* [illegible] ..... عاطفة التكريتي ٤٧ ـ ٦٩

* [illegible]

الاختلاف والمائل في الدوابيت ..... د. محمد جواد محمد سعيد ٧٠ ـ ٨٢

[illegible]

ديوان أبي الفرج الببغاء

النسخة الكاملة / القسم الخامس ..... شاكر العاشور ٨٣ ـ ١١٨

[illegible]

للعلامة الدكتور مازن المبارك

[illegible] ..... عبد العزيز ابراهيم ١١٩ ـ ١٤٢

[illegible]

معجم الشعراء المخضرمين

اعداد / د. عويض عبد الرحمن ..... نقد / مهدي عبد الحسين النجم ١٤٣ ـ ١٤٧

اخبار التراث العربي

اخبار التراث العربي ..... اعداد / حسن عربي الخالدي ١٤٨ ـ ١٦٠


مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

# رسائل محمد بن عبد الملك الزيات
# جمع ودراسة فنية

د/وليد عبد المجيد إبراهيم
كلية التربية ـ جامعة البصرة

**المقدمة:**

امتاز العصر العباسي بكثرة الأدباء والشعراء وبرز عدد كبير ممن برع في فني الشعر والنثر، فكان له ديوان شعر كما كان له ديوان رسائل.

وكان الناس في هذا العصر يتبارون في مجال الثقافات والآداب والعلوم والفنون من أجل كسب ود خلفائهم وتوثيق الصلة بهم.

امتاز العصر العباسي بكثير من الكتّاب الذين عرفوا بالجودة وقوة المنطق فضلاً عن المبالغة والاطناب والايجاز والترادف. وعن أساليب الكتابة في تلك الحقبة، يقول صاحب أمراء البيان إن الكتّاب في القرن الثاني والثالث جروا على سنّة القدماء في الرشاقة والجزالة وخالفوهم في الاسلوب والوضع، على ما لا يعبث بمذاهب الكلام، فكان فيهم من يطيل ويسهب، وفيهم من يوجز ويقتضب، وفيهم من يبالغ في المعنى ويغلو، وفيهم من يقتصد في اللفظ ولا يسرف.[1].

ويقول الدكتور طه حسين: إن عبد الحميد الكاتب وابن المقفع من أشهر الكتّاب في أواخر القرن الاول وأوائل الثاني .. أما في القرن الثالث فهناك كتّاب كثيرون، ففي عصر المأمون نرى عمرو بن مسعدة، وأحمد بن يوسف، والحسن بن وهب، وسليمان بن وهب، وسهل بن هارون، والكتّاب الذين كانوا يختلفون الى القصور ويتصلون بالامراء، ثم نرى كتّاباً آخرين لا يتصلون بالقصور ولا بدواوين الدولة وليس بينهم وبين السياسة صلة وقد قصروا أنفسهم على الكتابة.[2].

ومن الطبيعي أن يتأثر محمد بن عبد الملك الزيات الذي عاش في نهاية العصر العباسي الاول (١٧٣ـ٢٣٣هـ) بروح العصر وملامحه. ولا بد أن يتأثر بكتّاب الدولة العباسية ومنهجهم في الكتابة .. فنشأ محباً للأدب، ونهل من علوم العربية والثقافات الاجنبية التي بدأت تشيع في عصره، فقد خاض غمار الحياة الادبية وكان ينعم بمعاشرة الادباء والشعراء والعلماء. وكان يأبى إلا أن ينشأ نشأة تؤهله كي يكون كاتباً من الكتّاب، فكان كثير التردد على الدواوين منذ أيام المأمون[3] فلازم أشهر الكتّاب حتى استطاع عن طريق ذلك أن يصبح وزيراً معروفاً ويحقق مطامحه التي كان

يرجوها.

لقد كان من جملة الكتّاب في بلاط الخليفة، فكان في شبابه قريباً من قصر الخلافة، وكان يشرف على وظائف القصر الداخلية، ويصاحب كبار الكتّاب في أعمال الدواوين الذين كانت ثقافتهم واسعة ويختلط معهم ويشاركهم[٤].

وقد أجمعت المصادر على أن أباه كان من وجوه تجار الكرخ[٥]. يقول صاحب الاغاني "كان أبوه تاجراً من تجار الكرخ المياسير، فكان يحثه على التجارة وملازمتها فيأبى إلا الكتابة وطلبها[٦] حتى استوفى حظه من المعرفة والتبحر باللغة والادب فنهل من فيض المعارف المتنوعة حتى استوى شاعراً وكاتباً وعلماً من أعلام اللغة والنحو، ولهذا استوزره الخليفة المعتصم بدلاً من أحمد بن عمار[٧]، وذكر صاحب أمراء البيان "أن احمد بن عمار تولى الوزارة، ولما عرف المعتصم غناء ابن الزيات وعجز ابن عمار وجهله، قال له المعتصم: انظر أنت في الدواوين وهذا يعرض عليّ الكتب، ثم استوزر ابن عبد الملك وصرف ابن عمار صرفاً جميلاً، فاصبح ابن الزيات وزيراً كاتباً، وجرى على يديه عامة ما بنى المعتصم بسامراء من الجانبين الشرقي والغربي.[٨]".

"وحكي أن المعتصم شاور بعض خاصته في محمد بن عبد الملك الزيات، فأشار به، فعزم عليه، ثم ورد فتح بابك[٩] على المعتصم، فسرّ به وأحب أن ينشأ فيه كتاب يبقي ذكره، فأشار ابن ابي دؤاد عليه بتكليف ابن الزيات، ففعل ذلك فكتب فيه كتاباً مشهوراً ابّر فيه على كل نسخة عملت في ذلك الفتح، ثم قلده وزارته".[١٠].

ويروي لنا ابن الأبار، وابن خلكان، قصة سؤال المعتصم عن ـ الكلأ ـ يوم "كان أحمد بن عمار البصري وزير المعتصم، فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال، وكان في الكتاب الكلأ، فقال له المعتصم: ما الكلأ ؟ فقال الوزير: لا اعلم وكان قليل المعرفة بالادب. فقال المعتصم: خليفة أمي ، ووزير عامي !! وكان المعتصم ضعيف الكتابة، ثم قال: ابصروا من بالباب من الكتّاب، فوجدوا محمد بن عبد الملك الزيّات، فادخلوه عليه، فقال له: ما الكلأ ؟ فقال: الكلأ العشب على الاطلاق، فإن كان رطباً فهو الخلا، فاذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات. فعلم المعتصم فضله، فاستوزره وحكمه وبسط يده [١١].

إن كفاية ابن الزيات العلمية وثقافته الادبية أدت الدور الكبير في إيصاله الى أكبر المناصب في الدولة" وقد كانت بلاغة الشعراء والكتّاب وثقافتهم اللغوية والادبية والعلمية طريق كثير منهم الى منصب الوزارة ورئاسة الدواوين والاعمال الجليلة في الدولة"[١٢].

وان من مستلزمات الوزارة، البلاغة والكتابة، ولابد للوزير ابن الزيات أن يحسن الكتابة ويجيدها بين يدي الخليفة، "وقد كان ابن الزيات يعجبه خطه ولا يكتب بين يديه غيره، وأمر ألاّ تحرر الكتب الا بخطه".[١٣].

وقال صاحب الاغاني إنه "لا يقاس به أحد من الكتّاب وكان بليغاً، حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب"[١٤].

وقال صاحب الرسالة العذراء "إن محمد بن عبد الملك الزيات كان من ألطف الناس ذهناً وأرقهم طبعاً،

وأصدقهم حسّاً، وأملحهم إشارة، إذا قال أصاب وإذا كتب أبلغ، وإذا شعر أحسن، وإذا اختصر أغنى عن الاطالة"[١٥].

قال ابن النديم في الفهرست"إن ابن الزيات له كتاب رسائل"[١٦].

ولكننا لم نعثر على كتاب رسائل ابن الزيات، ولا نعلم شيئاً عن مصير هذا الكتاب ..وربما فُقد.

أما صاحب أمراء البيان فيقول"لم يؤلف ابن الزيات في موضوع خاص، صرف جميع ما اوتيه من موهبة البلاغة في رسائل الدولة، وذكروا له كتاب رسائل قدْره خمسون ورقة ولم يعثر عليه، والمعقول أن يكون خلّف مئات من الاوراق والباقي اليوم من رسائله في دواوين الادب لا تتجاوز بضع صفحات"[١٧].

وقال صاحب مرآة الجنان، كان ابن الزيات من أهل الادب الظاهر والفضل الباهر، أديباً فاضلاً، بليغاً عالماً بالنحو واللغة ... وله أشعار رائعة وديوان رسائل جيدة"[١٨].

ورأيت من المفيد أن أجمع نماذج من نثره ورسائله مما وجدته مثبتاً في بعض كتب الادب، وسأتناول دراسة هذه النصوص من الناحية الفنية.

## رسائل محمد بن عبد الملك الزيّات

### ١.

كتب محمد بن عبد الملك الزيات: إنّ حقّ الاولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم وتقويم أودهم، ورياضةُ أخلاقهم، وأن يَميزَ بينهم، فيقدّم مُحسنهم، ويؤخّر مُسيئهم، ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم.[١٩]

وفصل له:

إنّ أعظَم الحق حقُّ الدّين، وأوجبَ الحُرْمة حُرمة المسلمين، فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحَفظ تلك الحُرمة أن يُراعَى له حَسب ما رعاه الله به، ويُحفظ له حَسب ما حفظ الله على يديه.[٢٠].

### ٣.

وفصل له:

إنّ الله أوْجب لخلفائه على عباده حقَّ الطاعة والنَّصيحة، ولعبيده على خُلفائه بَسط العَدْل والرّأفة، وإحياءَ السُّنن الصالحة، فإذا أدّى كلٌّ الى كل حقّه كان سبباً لتمام المعونة، واتصالِ الزّيادة، واتساق الكلمة، ودوام الأُلفة.[٢١]

### ٤.

وفصل:

ليس من نعمة يُجدّدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصّة إلا اتصلت برعيّته عامة وشملت المسلمين كافة، وعُظم بلاء الله عندهم فيها، ووجب عليهم شُكره عليها، لأنّ الله جعل بنعمته تمام نِعْمتهم، وبتدبيره وذَبّه عن دينه حِفظَ حريمهم، وبحياطته حَقْنَ دمائهم وأَمْن سبيلهم. فأطال الله بقاء أمير المؤمنين، مُؤيَّداً بالنصر، معزّزاً بالتمكين، مَوْصول البقاء بالنَّعيم المُقيم.[٢٢].

### ٥.

وفصل:

الحمد لله الذي جَعل أميرَ المؤمنين معقودَ النِّية بطاعته، مُنطوي القلب على مُناصحته، مشحوذ السَّيف على عدوه، ثم وَهب له الظفر، ودوّخ له البلاد، وشرّد به العدوّ، وخصَّه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً، وبَرّاً وبحراً.[٢٣].

.٦

وفصل:

أفعال الامير عندنا مَعْســـــولة كالأماني، مُتَّصلة كالأيام، ونحن نُواتر الشُّكر لكريم فِعْله، ونُواصل الدُّعاء له مُواصلةَ بره، إنه الناهض بكلِّنا، والحامل لأعبـــائنا، والقائم بما ناب من حُقوقنا.[٢١].

.٧

وفصل: كتبَ عن الخليفة الواثق الى أحد العمال: ــ

أما بعد، فقـــد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره، ولا يخلو من إحدى منزلتين ليس في واحـــدة منهما عُذرٌ يوجب حُجَّة، ويُزيل لائمة: إمَّا تقـــصيرٌ في عمل دعاك للإخلال بالحَزْم والتفريط في الواجب، وإمَّا مُظاهرةٌ لأهل الفســـــاد ومُداهنةٌ لأهل الرِّيب. وأيّةُ هاتين كانت منك لمُحِلَّة النُكْر[٢٥] بك، ومُوجبةٌ العُقوبةَ عليك لولا ما يلقاك به أميرُ المؤمنين من الأناة والنَّظرة، والأخذ بـــالحُجَّة، والتقدم في الإعذار والإنذار. وعلى حَسَب ما أُقـــلتَ من عظيم العَثْرة يجب اجتهادك في تلافي التقصير والإضاعة والسلام.[٢٦].

.٨

وكتب ابـــــن الزيات عهدَ الواثق على مكة بحـــــضرة المعتصم[٢٧].

أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد قـــلَّدك مكة وزمزم، تراثَ أبيك الأقدم، وجدكَ الأكرم، وركضة جبريل، وسُقيا إسماعيل، وحفر عبد المطلب، وسقاية العباس[٢٨] فعليك بتقوى الله تعالى، والتوسعة على أهل بيت.[٢٩].

.٩

ذكر ابـــــن الزيات الفاظاً لأهل العصر في التهنئة بالحـــج، وتفخيم أمر الحـــــرم وتعظيم أمر المناســـــك والمشاعر، وما يتصل بها من الادعية:

قـــصدَ البـــيت العتيق، والمطاف الكريم، والملتزم النبيه، والمستلَم النزيه. وقف بـــالمُعرَّف العظيم، وورَد زمزم والحَطيم. حَرَمُ الله الذي أوســـــعه للناس كرامة، وجعله لهم مثابة[٣٠] وللخليل خُطّه، وللذبيح خُلّه، لمحمد صلى الله وآله وسلم قِبْلة، ولأُمّته كَعْبه، ودعا إليه حتى لبّى من كل مكان سحـــيق، وأســـرع نحـــوه من كل فجّ عميق، يعودُ عنه مَنْ وُفِّق وقد قُبـــلت توبـــتهُ، وغُفرت جَوْبَته[٣١] وسعدت سفرته، وأنجحت أوْبَتُه، وحُمد سَعْيه، وزكا حجُّه، وتقبـــل عَجّه وثَجّه[٣٢] وانصرف مولاي عن الحـــج الذي انتضى له عزائمه، وانضى فيه رَوَاحـــله، واتعب نفسه بطلب راحتها، وأنفق ذخائره بشـــراء سَعَة الجنة وساحـــتها، فقـــد زكَتْ إن شـــاء الله تعالى أفعاله وتُقُبِّلت أعماله، وشكر سعيه، وبلغ هديه. قـــد أسقـــطتَ عن ظهرك الثقـــلَ العظيم وشـــــهدت الموقف الكريم، ومحصت عن نفسك بالسعي من الفج العميق، الى البيت العتيق. حمداً لمن ســـهل عليك قـــضاء فريضة الحـــج، ورؤية المَشْعَر والمقـــام، وبـــركة الأدعية والموســـم، وسعادةَ أفنية الحطيم وزمزم قصد أكرمَ المقاصد، وشهدَ أشرفَ المشاهد، فورد مَشـــارعَ الجنة، وخيَّم بـــمنازل الرحـــمة. وقـــد جُمعت مواهب الله لديك: فالحـــجّ أديت فرضَهُ، وحَرَمُ الله وَطِئت أرضه، والمقام الكريم قـــمْتَه، والحجر الاسود استلمْتَه، وزُرْتَ قبـــرَ النبـــي صلى الله عليه وآله وسلم مشافهاً لمشهده، ومشاهداً لمســـجده. ومباشراً باديه ومَحْضره، وماشياً بين قبـــره ومنبـــره، ومصلياً عليه حيث صلّى ومتقرباً إليه بالقرابة العظمى،

وعدت وسَعْيُك مشكور، وذنبُك مغفور، وتجارتك رابحة، والبـــركات عليك غادية ورائحـــة. تلقّى اللهُ دعاءك بالإجابة، واستغفارك بـــالرضا وأملك بـــالنُّجْح، وجعل سعيك مشكوراً، وحجّك مبروراً، عرّف الله تعالى: مولاي مناهجَ ما نواه، وقَصده وتوخّاه، وما يســعده في دنياه، ويحمد عُقباه[٣٢].

.١٠.

وله من النثر ما يشبه الامثال، فيقول وهو يكتب الى الحسن بن وهب[٣٤].

يجبُ على المرؤوس اذا تجاوزَ بـــه الرئيس حـــقَّ مرتبته بعمله، وكان تفضيله إنما وقـــعَ له بـــخفته على القلب، ومَحلّه من الادب، أن يُقابلَ ذلك بـــمثله، وإنْ كان محامياً على محلّه، وإلا فلا يُؤمنْ عليه.[٣٥]

.١١.

وكتبَ ابن الزّيات الى عبد الله بن طاهر:

وانتَ تجري أمركَ على الاربحِ فالأربـــح، والارجح فالأرجح، لا تسعى بنقصان ولا تميلُ برجْحان.[٣٦]

.١٢.

وقال في القلم:

خير الاقلام ما استحكم نُضْجه، وخف بـــزره، قـــد تساعدتْ عليه السعود في فَلَك البروج حولاً كاملاً، تؤلفه بمختلف أركانها وطباعها، ومتباين أنوائها وأنحـــائها، حتى اذا بلغ أشدّه واســـتوى، وشـــقّتْ بـــوازله، ورقّتْ شمائله، وابتسم من غشائه، وتأذى من لحـــائه، وتعرّى عنه ثوب المصيف، بانقضاء الخريف، وكشف عن لون البَيْض المكنون، والصّدف المخزون، قُطع ولم يُعَجَّلْ عن تمام مصلحته، ولم يؤخَّر الى الاوقات المخوفة عاهاتها عليه من خَصر الشـــتاء وعَفَن الانداء، فجاء مســـتوي الانابيب معتدلها، مُثَّقفَ الكعوب مقوَّمها.[٣٧].

.١٣.

وله رسالة تتعلق بإعفاء عبد الله بـــن طاهر[٣٨] عز أمر الجزائر والعواصم[٣٩] وتفويض اسحق بن ابـــراهيم ابن عمه، فأمر الواثق ابن الزيات، فكتب:

أما بـــــعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك عن أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شـــمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.[٤٠].

.١٤.

وتوسل رجل الى رجل بمحمد بن عبد الملك الزيا وادّعى قرابته منه، وبلغ ذلك محمداً فكتب إلى المتوسّ إليه:

بلغني أن رجلاً ادّعى قرابتي، وأورد عليك كتاباً ذك أنه مني، وما أُنكر أن ينتفعَ بي من توسّل بنَسَبي، إلا أ من ادّعى قرابةً ولا قرابة له، كان استعمال الشفاعة ف أمره أولى.[٤١].

.١٥.

لما بويع المتوكل أمر بالكتابة الى الناس باعتماد على اللقب الذي لقب به، وكتب ذلك ابن الزيات:

(بسم الله الرحـــمن الرحـــيم). أمَر أبقـــاكَ الله أم المؤمنين أطالَ اللهُ بقاءه، أن يكون الرّسْم[٤٢] الذي يجر به ذكره على أعواد منابره، وفي كتبه إلى قضاته وكتّا وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم، من سائر من تجر المكاتبة بينه وبـــينه. من عبـــد الله جعفر الامام المتو على الله أمير المؤمنين"فرأيك في العمل بذلك، وإعلا

بوصول كتابي إليك موفق إن شاء الله.[٣٢].

١٦.

وهذه نسخة كتاب كُتبَ بـــها عن المعتصم الى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الافشين على بابـــك ملك الروم[٣٣] وهي:

أما بـــعد، فالحـــمدُ لله الذي جعل العاقبـــةَ لدينه، والعصْمة لأوليائه، والعزَّ لمن نصـــره، والـــفَلْح لمـــن أطاعه، والحقَّ لمن عَرَف حقَّه، وجعل دائرةَ السَّوء على من عصاه وصَدَف عنه، ورَغب عن رُبُوبيته، وابـــتغى إلهاغيره، لا إلهَ إلا هو وحدَه لا شريكَ له. يحـــمدُه أمير المؤمنين حمدَ مَنْ لا يعبدُ غيره، ولا يتوكَّلُ الا عليه، ولا يفوِّض أمْرَه إلا إليه، ولا يرجُو الخـــيرَ إلا مـــن عنـــده، والمزيدَ إلا من سَعَة فضله، ولا يستعين في أحواله كلِّها إلا به. ويسألُه أن يصلِّي على محمد عبـــده ورســـوله، وصَفْوته من عباده، الذي ارتضاه لنبوته، وابتعثه بوحْيه واختصَّه بكرامته، فأرسله بالحق شاهداً ومَبشِّراً ونَذيراً، وداعياً إلى الله بـــإذْنه وسِرَاجاً مُنيرا. والحـــمد لله الذي توجه لأمير المؤمنين بصنعه، فيسر له أمْرَه، وصَدَق له ظنَّه، وأنجح له طَلبته، وأنفذ له حيلته، وبلَّغ له محبـــتَه، وأدرك المسلمين بثأرهم على يده، وقتل عَدُوّهم، وأسكن رَوْعتهم، ورحم فاقـــتَهم، وآنس وَحْشَتهم، فأصبحـــوا آمنين مطمئنِّين مقـــــيمين في ديارهم، متمكنين في أوطانهم، بـــعد القَتل والخوف والتشـــريد وطُول العناء، وتتابُع البَلاء مَنّاً من الله عز وجلَّ على أمير المؤمنين بما خصَّه به، وصُنْعاً له فيما وَفَّقه لطلبه، وكرامةً زادها فيما أجرى على يده، فالحـــمدُ لله كثيراً لَما هو أهلُه، ونَرْغَبُ إلى الله في تمام نعَمه ودوام صُنْعه، وسَعة ما عنده بمَنِّه ولُطْفه، ولا يعلَمُ أمير المؤمنيـــن ـــ مـــع كَثْرة أعـــداء المسلمين وتكنُّفهم إيَّاه من أقـــطاره، والضغائن التي في قلوبهم على أهله وما يترصَّدونه من العداوة، وينْطَوُون عليه من المُكايدة، إذ كان هو الظاهرَ عليهم والآخذَ منهم ـــ عَدُوّاً كان أعظم بليَّةً، ولا أجلَّ خَطْبا، ولا أشدَّ كَلبا، ولا أبلغ مُكايدة، ولا أرْمى بـــمكروه، من هؤلاء الكَفَرة الذين يغزوهم المسلمون، فيستعْلُون عليهم، ويَضَعُون أيديَهم حيثُ شاءوا منهم، ولا يقبلُون لهم صُلْحـــا، ولا يَميلُون معهم الـــى مُوادَعَة، وإن كـــان لهـــم علـــى طُول الأيَّام وتصرُّف الحالات وبعض مالا يزال يكون عن فترات ولاة الثُّغُور أدنى دَوْلة من دَوْلة من دَوْلات الظَّفر وخَلْسة من خُلَس الحرب، كان بـــما لَهُم من خوف العاقبـــة في ذلك مُنْغِّصا لما تعجَّلُوا من سروره، وما يتوقعون من الدوائر بعدُ، مُكدِّراً لما وصل إليهم من فَرْحة. فأما اللعين بابـــك وكفَرته، فإنهم كانوا يَغْزُون أكثر مما يُغْزَوْن، وينـــالُون أكثرَ مما يُنَالُ منهم، ومنهم المنحَرفون عن المُوادَعـــة، المتوحشُون عن المراسَلة، ومَنْ أُديلوا من تتابُع الدول، ولم يخافوا عاقبةً تُدْرِكهم، ولا دائرةً تدور عليهم. وكان مما وطَّأ ذلك ومَكَّنه لهم أنهم قومٌ ابتدأوا أمرهم على حال تشـــاغُل الســـلطان، وتتابُع من الفتن، واضطراب من الحبل، فاستقبـــلوا أمرهم بـــعزَّة عن أنفســـهم، وضَعْف واستثارة ممَّن باراهم، فأجْلَوْا مَنْ حولهم لتخلُّص البلاد لهم، ثم أخْربُوا البلادَ ليعزَّ مطلَبُهم وتَشْتَدَّ المؤنة وتعظُمَ الكُلْفة، ويَقْوَوْا في ذات أيديهم، فلم يَتـــوافَ إليهـــم قُوّاد الســـلطان إلا وقـــد توافَتْ إليهم القُوّة من كل جانب فاستفحـــل أمْرهم، وعظُمت شـــوكتُهم، واشـــتدّت ضروراتهم[٣٥] واســـتجمع لهم كيْدُهم، وكثُرَ عددهم واعتدادهم، وتمكَّنت الهيبـــةُ في صدور الناس منهم، وتحقَّق في نفوسهم أن كلَّ ما يَعِدُهم الكافرُ ويُمنِّيهم أخْذٌ

باليد. وكان الذي بقى عندهم منه كالذي مضى، وبدون هذا ما يخْتدَعُ الأريب ويُستَنْزل العاقل ويعتَقل الفطِن، فكيف بمن لا فكرةَ له، ولا رويَّة عنده؟

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حَسَد أهل النِّعم، ومنافستهم على ما في أيديهم وتقَطُّعهم حسرات في إثر ما خُصُّوا به، وأنهم إن لا يكونوا يَرَوْن أنفُسَهم أحقَّ بذلك، فإنهم يَرَوْن أنهم فيه سَواء.

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفْضيَ إليه الخلافةُ ما دَاً عُنُقه، موجِّها همَّته الى أن يُولِّيه اللهُ أمْرَ هؤلاء الكَفَرة ويملِّكَه حربهم، ويجعله المقارع لهم عن دينه، والمُناجز لهم عن حقِّه، فلم يكن يألُوا في ذلك حرْصاً وطَلَباً واحتيالا، فكان أمير المؤمنين رضى الله عنه يأبى ذلك لضنِّه به وصيانته بقربه، مع الأمر الذي أعدّه الله له وآثرهُ به، ورأى أن شيئاً لا يَفي بقوام الدين وصَلاح الأمر. فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته وأطلق الأمْرَ في يده، لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه ولا آخَذَ بقلبه من المعاجَلة للكافر وكَفَرته فأعزه الله وأعانه الله، فلله الحمدُ على ذلك وتيسّره، فأعدّ من أمواله أخْطَرَها، ومن قُوّاد جيشه أعلمَهم بالحرب وأنهضهم بالمُعْضلات، ومن أوليائه دَعْوته ودَعْوة آبائه ــ صلوات الله عليهم ــ أحسَنهم طاعة، وأشدَّهم نكاية، وأكثَرَهم عُدّة. ثم أتبع الأموال بالأموال والرِّجالَ بالرجال، من خاصَّة مواليه وعَدَد غِلْمانه، وقبل ذلك ما اتكل عليه من صُنع الله جلَّ وعَزَّ، ووجه إليه من رعيته. فكيفَ رأى الكافرُ اللعينُ وأصحابُه الملاعين؟ ألم يُكْذِب اللهُ ظنونهم، ويَشْفِ صُدورَ أوليائه منهم؟ يقتُلونهم كيف شاءُوا في كل موطن ومعتَرك، مادامتْ عند أنفُسهم مُقاومة. فلما ذلُّوا وقَلُّوا وكَرِهوا الموت، صاروا لا يَتراءَون إلا في رُؤوس الجبال ومَضايق الطُّرُق وخَلْفَ الأوديَة ومن وراء الأنهار، وحيثُ لا تنالهم الخيلُ، حصناً للمطاولة وانتظاراً للدوائر، فكادهم الله عند ذلك وهو خيرُ الكائدين، واستدْرَجهم حتى جمعهم إلى حِصْنهم معتصمين فيه عند انفسهم، فجعلوا اعتصامهم لَحيْنٍ لهم، وصُنع لأوليائه، وإحاطةً منه به تبارك وتعالى، فجمعهم وحصرهم لكي لا تبقى منهم بقيَّةٌ ولا تُرْجى لهم عاقبة ولا يكونَ الدين إلا الله، ولا العاقبةُ إلا لأوليائه، ولا التعْسُ والنَّكْس إلا لمن خَذَله.

فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانَتْهم مصارعُهم، سلَّطهم الله عليهم كيد واحدة، يختطفُونهم بسيُوفهم، وينتظمونَهُم برِماحهم، فلا يَجدون مَلْجأ ولا مَهْرَباً ثم أمكنَهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحُرَمهم وصيَّروا الدار دارَهم والمَحلة مَحلَّتهم والأموال قسْماً بينهم، والأهل إماءً وعبيدا. وفوقَ ذلك كلِّه ما فعَل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب، وما أعدَّ لأولئك من الخزْي والعقاب، وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسَلِم من ذُلِّ الغَلَبة، ولا فيمن نَجا فعاين في الحياة بعض العوَض، ولا فيمن أُصيب فيشتغل بنَفْسه عن المصيبة بما سواه، لكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسدّ مذاهبه، وتركه مُلدَّداً بين الذُّل والخَوْف، والغُصَّة والحَسْرة، حتى إذا ذاق طعمَ ذلك كلِّه وفَهمه وعرف مَوْقع المصيبة، وظَنَّ مع ذلك كلِّه أنه على طريق من النجاة، فأضرب الله وجهه، وأعمى بصره، وسدّ سبيلَه، وأخذ بسمعه وبصره، وحازه الى مَنْ لا يَرِقُّ له ولا يَرثي لمَصْرَعه، فامتثل ما أمَر به الأفْشين (خيذر بن كاوس) مولى أمير

المؤمنين في أمْره، فبـــث له الحبـــائلَ، ووضَع عليه الأرصادَ، ونَصَب له الأشراك حتى أظفره اللهُ به أســيراً ذليلاً مُوثَقاً في الحديد، يراه في تلك الحـــالة مَنْ كان يراه رَبّاً، ويرى الدائرةَ عليه مَنْ كان يظنُّ أنها ستكون له.

فالحـــمدُ لله الذي أعزَّ دينَه، وأظهر حُجَّته، ونَصَر أولياءَه وأهلك أعداءَه، حمداً يُقْضى به الحقُّ، وتَتِمُّ بـــه النِّعمة، وتتصل بـــه الزيادة. والحـــمدُ لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقَّق ظنَّه، وأنجح سعْيَه، وحـــاز له أجْرَ هذا الفتح وذُخْرَه وشَرَفه، وجعله خالصاً لتمامه وكماله بأكمل الصنع وأحْسنِ الكفاية، ولم يرَ بؤساً فيه ما يقذي عينه، ولا خَلاَ من سُرور يراه، وبشـــارةٍ تتجدد له عنه، فما يدري أميرُ المؤمنين ما مُتِّع فيه من الأمل، أو ما خُتِم له من الظفر، فالحمدُ لله أوّلا والحمد لله آخراً والحمد لله على عطاياه التي لا تُحْصى ونِعَمِه التي لا تُنْسى، إن شاء الله تعالى.[٤٥].

## الدراسة الفنية

كان محمد بـــن عبـــد الملك الزيات يحـــرص على اصطفاء الالفاظ، فهو لا يتكلف في تزويق كتابـــاته ولا يتصنع بل جاءت طبيعية، وكان يوازن بين العبارات في الصوت والجَرْس والاداء، كما كان يعنى عناية شـــديدة بمعانيه.

"وابن الزيات لم يؤلف كتابـــاً في موضوع خاص، صرف جميع ما أوتيه من موهبة البـــلاغة في رســـائل الدولة"[٤٦] إذاً لابد أن يراعي جمالية الاسلوب مع دقـــة التعبير فقد امتازت رسائله بالمهارة الفنية لا ســـيما في تقطيع الجمل وتقابـــل المعاني، لأن ثقـــافة ابـــن الزيات وذوقه الادبي لهما الدور في تأنق تعبيره.

اســـتطاع ابـــن الزيات في ديوان المأمون أن يدرك كثيراً من الكتّاب ويتأثر بهم، ومن هؤلاء شخصية ارتبط بها تاريخياً، وهي شخصية الجاحـــظ الذي اختاره ابـــن الزيات كاتباً له بعد أن أبى الكتابة في ديوان المأمون[٤٧] وكانت بينهما صلة وثيقة وصداقـــة وفية، وقـــد أهدى الجاحظ لصديقـــه ابـــن الزيات كتاب الحـــيوان تثميناً له وتكريماً.

ويذكر صاحب إعْتاب الكُتّاب"أن الجاحـــظ كان مائلاً الى ابن الزيات، منحطاً في هواه، فلما نكبه المتوكل أُدخل الجاحظ على أحمد بن أبي دؤاد[٤٨] مقيداً، فقـــال له: والله ما أعلمك الا متناســـياً للنعمة، كفوراً للصنيعة، معدداً للمساوئ..! فقال الجاحـــظ: خفض عليك أصلحـــك الله، ولأن تعفو عني في حال قدرتك عليّ أجمل بك من الانتقام مني!.. فعفا عنه"[٤٩].

وكان ا تساع ابي عثمان في اللغة كما يقول صاحب أمراء البيان لا يشبه اتســـاع اللغويين، واستبـــطن من اسرارها ما يقـــل استبـــطان مثله على غيره، وعمد الى سهل اللفظ للافصاح عن ســـهل المعنى، وهواه أبـــداً أن يتخير الفاظاً لمعانيه، لا معاني لالفاظه، يسير مع الطبع، ولا يتكلف الســـجع، ويكتفي منه بـــما جاء عفواً في الاحايين"[٥٠].

إذاً من الطبيعي أن يتأثر ابن الزيات ببلاغة الجاحظ، بل من الطبيعي ايضاً أن يتأثر ابن الزيات الذي عاش في نهاية العصر العباسي الاول بروح العصر وملامحه ولابد أن يتأثر بكتّاب الدولة العباسية ومنهجهم في الكتابة.

ومع أن ابـــن الزيات كان وزيراً، كان عليه أن يركز في كتابـــاته على حـــفظ الامن وعلى ضرورة الطاعة

ولاسيما في كتاباته التي يوجهها الى الخارجين على طاعة الخليفة حفظاً على سياسة الدولة وامنها والحد من وقوع الفتن والاضطرابات. فيقول ابن الزيات:ـ " إن الله أوْجب لخلفائه على عباده حقَّ الطاعة والنصيحة، ولعبيده على خُلفائه بَسط العَدْل والرّأفة، وإحياء السُّنن الصالحة. فإذا أدّى كلٌّ الى كلٍّ حقّه كان سبباً لتمام المعونة، واتصالِ الزِّيادة، واتساق الكلمة، ودوام الأُلفة".

ويقول ايضاً:

"إنّ أعظمَ الحقّ حقُّ الدِّين، وأوجبَ الحُرْمة حُرمة المسلمين. فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحَفظ تلك الحُرمة أن يُراعَي له حَسب ما رعاه الله به، ويحفظ له حَسب ما حفظ الله على يديه.

ويقول بهذا المعنى ايضاً:

"إن حقّ الاولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم، وتقويمُ أودهم، ورياضةُ أخلاقهم، وأن يَميزَ بينهم، فيقدّم مُحسنهم، ويؤخِّر مُسيئهم، ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم.

ويقول ايضا:

"الحمدُ لله الذي جعلَ أميرَ المؤمنين معقودَ النِّية بطاعته، مُنطوي القلب على مناصحته، مشحوذ السَّيف على عدوّه، ثم وَهب له الظفر، وَدوّخ له البلاد، وشرّد به العَدوّ، وخصَّه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً.

إن هذه النصوص تكشف لنا عن طبيعة ابن الزيات فهو رجل دولة ووزير، فكان يركز في كتاباته على معالجة بعض الاشكالات التي تحدث في حياته السياسية باسلوب موجز مع انه كان يعيش في وسط خضم واسع من الاسهاب والاطناب. وتميزت هذه النصوص ايضاً بالوضوح وانتخاب الالفاظ الرصينة دون أيما تكلف، بحيث تماسكت الكلمات دون تفكك.

وكتبَ ابن الزيات عهد الواثق على مكة بحضرة المعتصم:

"أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد قلدك مكة وزمزم، تُراث أبيك الأقْدم، وجدّك الأكرم، وركضة جبريل، وسُقيا إسماعيل، وحَفْرَ عبد المطلب، وسِقايةَ العباس فعليك بتقوى الله تعالى والتوسعة على أهل بيته".

هذا إيجازٌ في التعبير ورصانةٌ في المعنى والتزام بجزالة اللفظ، ويقول صاحب أمراء البيان" وهذا من الايجاز المعجب الذي تمليه قريحة اعتادت البديهة واعتادت الروية، وما أحلى قوله"ركضة جبريل وسُقيا إسماعيل" وهي من التعابير التي يفترعها امثاله من الكاتبين"[٥٢].

ومن الفاظه الموجزة المعبرة:

أما بعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

هذه رسالة موجزة تتعلق بإعفاء عبد الله بن طاهر عن أمر الجزائر والعواصم وتفويض اسحق بن ابراهيم ابن عمه، فأمر الواثق ابن الزيات، فكتبها ..

وقد علّق عليها صاحب أمراء البيان قوله"وليس في الوصول الى الغرض مع مراعاة المكتوب اليه، أوجز ولا ألطف من هذا السطر"[٥٣].

وكتب ابن الزيات الى عبد الله بن طاهر الفاظاً تتعلق بالتجارة، بذكره ربح السلع ورجحان ونقصان الكيل

والخسران من رأس المال، وابن الزيات كما قال صاحب الاغاني "كان أبوه تاجراً من تجار الكرخ المياسير، فكان يحثه على التجارة وملازمتها فيأبى إلا الكتابة وطلبها"[٥١].

فتأمل قوله في ذلك:

"وانتَ تُجْري أمرك على الأربح والأرجح فالأرجح، لا تسعَى بنُقصان ولا تميلُ بُرجُحان" وله من النثر ما يشبه الامثال، فيقول وهو يكتب الى الحسن بن وهب يجبُ على المرؤوس اذا تجاوز به الرئيس حقَّ مرتبته بعمله، وكان تفضيله إنما وقع له بخفته على القلب، ومَحلّه من الادب، أن يُقابلَ ذلك بمثله، وإنْ كان محامياً على محلّه وإلا فلا يُؤمنْ عليه.

فالايجاز هو الصفة الغالبة على نثر ابن الزيات، فقد استطاع الوصول الى المعاني مع اختزال الكثير من الكلمات، ولعل من الاسباب التي فرضت عليه الايجاز أنه رجل دولة قد يطلب منه الخليفة الايجاز في رسائله حين يراسل بعض الولاة والقواد ليوصل اليهم أوامر الخليفة بأبسط شكل وأقل مجهود.

وقد سار ابن الزيات على نهج الجاحظ في الدعوة الى الوضوح وفي الملاءمة الدقيقة بين الكلام وطبقات الناس من الخلفاء والكتّاب والقوّاد بحيث ان لكل طبقة من هذه ما يناسبها من الالفاظ والمعاني.

أشرنا الى أن الايجاز شائع في رسائل ابن الزيات لأنه رجل دولة، ولكن هذا لا يمنعه من استعمال اسلوب التطويل عندما تدعو الحاجة الى ذلك كما في نسخة كتاب كُتب به عن المعتصم الى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الافشين على بابك[٥٢] يفتح الكتاب بلفظ(أما بعد) ثم يعقب البعدية (الحمدُ لله).

ويتعدد الحمد في أول الكتاب، ولا يكتفي في هذا الكتاب بالاسلوب المطول فحسب، وانما نستشف التكرار والترادف بين العبارات والكلمات كقوله:(ولا أجل خَطْباء" ولا أشد كَلبا"، ولا أبلغ مكابدة، ولا أربى بمكروه)).

أو قوله:((يختطفونهم بسوفهم، وينتظمونهم برماحهم، ولا يقبلون لهم صُلْحاً". ولا يمليون معهم الى مُوادعة)).

فكانَ بامكانه اختزال الكثير من الكلمات للوصول الى المعنى. ولكن ربما كانت الحاجة تدعوه لذلك أو ربما يريد أن يظهر براعته وقدرته في استعمال اللغة، أو ربما كان ابن الزيات يهدف من هذا التطويل والاطناب الى الانتقام من ثورة بابك الخرّمي الذي سبب المتاعب والقلاقل للدولة العباسية، فكان لابد له من الاطناب والاسهاب لان الحاجة تدعو الى ذلك كما قلنا.

بقي أن نقف أمام مسألة مهمة، وهي أن ابن الزيات في هذا الاسلوب المطول أو حتى في بقية النصوص الاخرى، لم يحرص على تضمينه بالابيات الشعرية وهو الكاتب الشاعر، أو بالامثال السائرة التي كان كتّاب الدواوين في عصره يحاولون أن يوشحوا بها كتاباتهم ليظهروا قدرتهم الادبية.

بعد أن تعرفنا على اللفظ والمعنى والإيجاز والاطناب في بعض كتابات ابن الزيات لابد أن نتوقف لنتعرف على لون آخر كان يستخدمه في كتاباته، ألا وهو الازدواج.

والازدواج: اسلوب يقوم على التوازن الدقيق بين العبارات بحيث تتلاحق في صفوف متقابلة دون أن تتحد

نهاياتها على نحو ما هو معروف في السجع، ومع ذلك تحقق ضروباً من الايقاع[٥٦].

وهذا اسلوب جديد في الكتابة شاع على يد الجاحظ، وبمثل هذا الاسلوب المتدفق كان الجاحظ يؤلف ويصنف الكتب الطوال والرسائل المتنوعة الموضوعات ودائماً تلقانا هذه الخصائص العامة لكتابات الجاحظ، اذ يعنى دائماً باسلوبه وسريان الازدواج فيه وبألفاظه وصياغاته وملاءمتها لمعانيها وموضوعاتها وقرائها.[٥٧].

وابن الزيات دون شك تأثر بهذا الاسلوب الجديد فكتب فيه رسائله بقدرة تدعو الى الاعجاب على ابتداع المعاني وابتكار الافكار، مع خصوبتها واتساعها، على شاكلة قوله:

" ليس من نعمة يُجدِّدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصَّة إلا اتصلت برعيته عامة، وشملت المسلمين كافة، وعظم بلاء الله عندهم فيها، ووجب عليهم شكره عليها لأنّ الله جعل بنعمته تمام نِعْمتهم، وبتدبيره وذَبّه عن دينه حفظَ حريمهم، وبحياطته حقْنَ دمائهم وأمْن سبيلهم. فأطال الله بقاء أمير المؤمنين، مُؤيَّداً بالنصر، معزّزاً بالتمكين، مَوْصول البقاء بالنَّعيم المقيم".

هذه لغةٌ مرنةٌ شفافة، يشيع فيها الوضوح وتتوازن فيها الكلمات وتتعادل، كل كلمة في عبارة تقابلها كلمة في العبارة التالية. ومثل ذلك قوله ايضاً:

"أفعال الأمير عندنا مَعْسولة كالأماني، مُتَّصلة كالأيام، ونحن نُواتر الشُكر لكريم فعْله، ونواصل الدُّعاء له مُواصلةَ برّه، إنه الناهض بكلّنا، والحامل لأعبائنا، والقائم بما ناب من حُقوقنا.

هذا ازدواج فرضه المعنى وقد أفضى على اسلوبه العنصر الموسيقي الذي يعادل بين الكلمات والتعابير.

إن ابن الزيات يُعنى باسلوبه وسريان الازدواج فيه، ورسائله على قصرها تحمل بعض الخصائص الادبية، ففيها العبارة العقلية على التدليل واستنباط الافكار مع جمال التوازن العام في اسلوبه المزدوج. فانظر الى التوازن الدقيق في العبارات والتسلسل المنطقي وهو يسوق لنا فكرة المعتزلة، وهي مسألة المنزلة بين المنزلتين[٥٨].

وبخاصة أن هذه المسألة كانت أساساً للاختلاف بين المعتزلة والاشعرية، ولكن لم يصل الينا رأي ابن الزيات فيها، ربما كتب في هذه المسألة كتاباً ولكنه فُقد، وربما لم يكتبْ لأنه لا يُريد أن يورط نفسه في المناظرات الدينية التي تثير له الكثير من الخلافات وهو بمنزلة رجل دولة. وابن الزيات ينتمي الى فرقة المعتزلة، وهي من أقوى الفرق الاسلامية في عصر المأمون[٥٩]، وكانت المعتزلة في أعظم الرجال في العلم والمنطق والبلاغة والفصاحة، وكان لمنطقهم وفصاحتهم أثر بالغ في الرد على الخصوم[٦٠].

فيقول:

أما بعد، فقد انتهى الى أمير المؤمنين كذا فأنكره، ولا يخلو من إحدى منزلتين ليس في واحدة منهما عُذر يوجب حُجَّه، ويُزيل لائمة: إمَّا تقصيرٌ في عمل دعاك للإخلال بالحَزْم والتفريط في الواجب، وإمَّا مُظاهرة لأهل الفساد ومُداهنة لأهل الرِّيب. وأيّة هاتين كانت منك لمُحلّة النُكر[٦١] بك، ومُوجبة العُقوبة عليك، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة، والأخذ بالحُجّة،

والتقدم في الاعذار وعلى حسب ما أقلت من عظيم العثرة يجب اجتهادك في تلافي التقصير والاضاعة والسلام.))

ومن المحسنات التي استخدمها ابن الزيّات أيضا السجع في بعض مقطوعاته الى هذا الحد أو ذلك نتيجة لضرورة المعنى، فهو لم يؤثر السجع ولا يتكلف فيه أو يتصنع أو يفرط في تزويق كتاباته من خلاله، بل إن كتاباته جاءت طبيعية، أو ربما يريد أن يبرهن أنه قادر على استعمال السجع كغيره من الكتّاب، أو أنه التزم السجع الى حد اضطر معه الى التضحية بالمعاني. ومن الامثلة على ذلك قولَه في وصف القلم:

" خير الاقلام ما استحكم نضجه، وخف بزره، قد تساعدتْ عليه السعود في فَلَك البروج حولا "كاملاً" تؤلفه بمختلف أركانها وطباعها، ومتباين أنواعها وأنحائها.)).

وفي مثل قوله أيضا:

"إن حقَّ الاولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم، وتقويم أودهم، ورياضةُ أخلاقهم، وان يَميزَ بينهم، فيقدِّم مُحسنهم ويؤخِّر مُسيئهم، ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم، ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم"

في هذه الرسالة معان غزيرة وطباقات مختلفة واضحة فيقدِّم ويؤخِّر، مُحسنهم ومُسيئهم وإحسانهم واساءتهم).

وله الفاظٌ لأهل العصر في التهنئة بالحج وتفخيم أمر الحرم وتعظيم أمر المناسك والمشاعر وما يتصل بها من الادعية، حين يقول:

" قصد البيت العتيق، والمطاف الكريم، والملتزم النبيه، والمستلَم النزيه، وقف بالمُعرَّف العظيم، وورد زمزم والحطيم".

بلاغة ابن الزيات واضحة في هذه الرسالة، فهو يُعنى بكلامه محملا له معاني غزيرة وهو يضيف الى ذلك مقابلة بين المعاني تنتهي الى الطباق (في تعب النفس بسطلب راحتها وبين باديه ومَحْضره، وبين البركات الغادية والرائحة) وتنتهي الى الجناس (في خُطَة وخُلَة وبين عَجَه وثَجّه، وبين سَعَة الجنة وساحتها) ويضيف الىذلك الصور،(وشهدَ أشرفَ المشاهد، فوردَ مشارع الجنة، وخيَّم بمنازل الرحمة، وقد جُمعت مواهب الله لديك) وكل تلك صور متلاحقة.ثم يمضي ابن الزيّات يوغل في الموازنة بين عباراته، إذ يطلب ازدياداً في التلاؤم وفي الجَرْس فاذا هو يكثر من السجع وترصيفه وهو يمضي فيه على هذا النحو:

"وقف بالمُعرف العظيم، وورد زمزم والحطيم. حرَمُ الله الذي أوسعه للناس كرامة، وجعله لهم مثابة، وللخليل خُطّة، وللذبيح خُلّة، ولمحمد صلى الله وآله وسلم قبْله، ولأمّته كعْبة، ودعا إليه حتى لبّى من كل مكان سحيق، وأسرع نحوه من كل فجّ عميق".

فاتجاه السجع في هذه الرسالة واضح، يريد الكاتب أن يلذّ كلامه الاسماع والآذان بملاءمانه بين الكلمة والكلمة في الجَرْس، وبما يستخدم من طباقات وجناسات وتصويرات مختلفة، ولعل في كل ما قدمنا ما يصور شخصية محمد بن عبد الملك الزيات الادبية وخصائصه الفنية في كتاباته، ومن المؤكد أن ابن الزيات فرض نفسه على عصره بثقافته الواسعة وبملكاته، من لغة واضحة مرنة في لسانه وعلى قلمه، مع حسن صياغة وجمال عبارة دون أيما تكلف، فضلا عن استفادته من الافكار والاساليب الجديدة في الكتابة التي شاعت في عصره، ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان أحد أبرز كتّاب العصر وبلغائه.

## الهوامش

(١) أمراء البيان، محمد كرد علي، ص ١٤.

(٢) تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الاول،د. طه حسين ٤٥١/٢ـ٤٥٢.

(٣) ينظر الاغاني ٤٨/٢٣(طبعة دار الكتب).

(٤) ينظر أمراء البيان ص٢٥٨. وينظر محمد بن عبد الملك الزيّات صاحب التنور للهجرسي: ص٣٨.

(٥) كرخ بغداد.

(٦) الاغاني: ٤٦/٢٣ (طبعة دار الكتب).

(٧) أحمد بن عمار البصري وزير المعتصم قبل ابن الزيات.(ينظر معجم الشعراء للمرزباني: ص٣٦٥، ووفيات الاعيان ٩٤/٥)

(٨) أمراء البيان، ص٢٥٩.

(٩) بابك: ثائر هزمته جيوش المعتصم حتى القي القبض عليه ثم أرسل الى المعتصم الذي صلبه في سامراء سنة ٢٢٣هـ.(ينظر تاريخ الطبري احداث سنة ٢٢٠هـ)

(١٠) إعتاب الكتاب لابن الأربار، ١٣٤.

(١١) إعتاب الكتّاب، ص١٣٤، وفيات الاعيان: ٩٤/٥ـ٩٥. وينظر: شذرات الذهب: ٧٨/٢.

(١٢) الشعراء الكتّاب في العراق، حسين العلاّق، ص٦٠.

(١٣) كتاب الكتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها) في المورد م٢،ع٢، ١٩٧٣ تحقيق الاستاذ هلال ناجي، ص٤٧.

(١٤) الاغاني: ٤٧/٢٣(الهيئة المصرية للكتاب).

(١٥) رسائل البلغاء. محمد كرد علي، ص٢٥٠.

(١٦) الفهرست، ص١٨٣. (١٧) أمراء البيان، ص٢٧٢.

(١٨) مرآة الجنان لليافعي: ١١١/٢ـ١١٢.

(١٩) العقد الفريد ٢٤٠/٤. جمهرة رسائل العرب ٤٤/٤.

(٢٠) نفسه. جمهرة رسائل العرب ٤٤/٤.

(٢١) نفسه. جمهرة رسائل العرب ٤٤/٤.

(٢٢) المصدر نفسه. (٢٣) العقد الفريد: ٢٤١/٤.

(٢٤) المصدر نفسه. (٢٥) النُكْر: الامر الشديد.

(٢٦) العقد الفريد: ٢٤١/٤ وجمهرة رسائل العرب: ٤١/٤ .

(٢٧) في سنة ٢٣٠هـ وجه الواثق ـ بُغا الكبير ـ الى الاعراب الذين اغاروا بنواحي المدينة، وكان سبب ذلك أن بني سُليم كانت تفسد حول المدينة بالشر، ونهبوا القرى والمناهل ما بين مكة والمدينة، وانقطع الطريق، فوجه اليهم الواثق ـ بُغا الكبير ـ أبا موسى في جمع الجند، فقتل بُغا منهم نحواً من خمسين رجلاً وأسر مثلهم وانهزم الباقون، وعاد بالأسرى الى المدينة فحبسهم، ثم سار الى مكة. (ينظر الكامل: ١٢/٧).

(٢٨) يذكر في هذه الرسالة قصة هاجر زوج ابراهيم(ع) حيث ولدت ابنها اسماعيل منه وغارت زوجه الثانية ساره، فاضطر ان يبعدهما عنها فانزلهما بوادي مكة الجدب وقد اعياهما العطش حتى ارسل الله جبريل ففجر الماء لهما من بئر يقال لها (زمزم) فتستقي منه هاجر واسماعيل، وحين تمرُّ الايام تُمحى معالم البئر، وهذا ما حدا عبد المطلب جد الرسول (ص) الى حفرها واتخذها سقاية للحجيج، ثم يرث إبنه أبو طالب شرف هذه السقاية، ثم يرث منه العباس أخوه جد العباسيين ذلك.(ينظر قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ص٥٢).

(٢٩) زهر الاداب: ١٦٠/٤ـ١٦١ وجمهرة رسائل العرب: ٣٧/٤.

(٣٠) مثابة: أي مكاناً يعود اليه من خرج منه.

(٣١) الحوبة ـ بالفتح ـ الذنب.

(٣٢) العج: رفع الصوت بالتلبية، والثجّ: إراقة دم الهَدْي، وهي الذبائح.

(٣٣) زهر الاداب: ١٠٩٧/٤ـ١٠٩٨.

(٣٤) ابو علي الحسن بن وهب بن سعيد الحارثي: كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام وكان الحسن يكتب بين يدي ابن الزيات ثم انه ولي ديوان الرسائل توفي سنة ٢٥٠هـ (معجم الشعراء ص٣٦٦، فوات الوفيات ٣٦٧/١، وينظر كتاب آل وهب للدكتور يونس السامرائي).

الشعراء ص٣٦٦، فوات الوفيات ٣٦٧/١، وينظر كتاب آل وهب للدكتور يونس السامرائي).

(٣٥) امراء البيان، ص٢٧٣ــ٢٧٤.

(٣٦) الاغاني: ٤٧٤/٢٢(دار الثقافة ــ بيروت، وجمهرة رسائل العرب: ١٩/٤.

(٣٧) صبح الاعشى: ٤٥٣/٣ــ٤٥٤.

(٣٨) عبد الله بن طاهر أمير خراسان، وكان اليه الحرب والشرطة والسواد والري وطبرستان وكرمان وخراسان وما يتصل بها (الكامل في التاريخ: ١٣/٧).

(٣٩) الجزائر: جمع جزيرة اسم علم لمدينة على صفة البحر بين افريقيا والمغرب (ينظر: معجم البلدان: ٩٩/٢) العواصم: حصون مواتع ولاية تحيط بها حلب وانطاكية (ينظر: معجم البلدان: ٧٣١/٣).

(٤٠) زهر الاداب: ٢٧٢/٤ وامراء البيان:ص٢٧٢.

(٤١) جمهرة رسائل العرب: ٤٥/٤.

(٤٢) الرَسْم: مجموع العادات المتّبعة في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الألفة. وهذا مايعرف في الفرنسية بلفظة اتيكيت(Eiquette) ينظر رسوم دار الخلافة لابي الحسين هلال الصابئ،ص٤٦)

(٤٣) امراء البيان ٢٧٣.

(٤٤) كذا ولم يكن بابك ملكاً للروم.

(٤٥) لعلها ضراوتهم.

(٤٦) صبح الاعشى: ٤٠٠/٦ــ٤٠٤ (ولم ترد عند غيره).

(٤٧) أمراء البيان: ص٢٧٢.

(٤٨) ينظر معجم الادباء: ٧٨/١٦ــ٧٩.

(٤٩) أحمد بن أبي دؤاد الإيادي القاضي، اتصل اولاً بالمأمون، فلما قرب موته اوصى به اخاه المعتصم فجعله قاضي قضاته، ولما مات المعتصم اعتمد الواثق على رأيه، ومات الواثق راضياً عنه، وتولى المتوكل، ففلج ابن ابي دؤاد في اول خلافته سنة ٢٣٣هـ وكانت بينه وبين ابن الزيات الوزير منافسة، توفي ابن ابي دؤاد سنة ٢٤٠هـ. (تاريخ بغداد: ١٤١/٤، وفيات الاعيان: ٨١/١، ميزان الاعتدال: ٩٧/١ للذهبي.

(٥٠) إعتاب الكتّاب: ص١٥٤ــ١٥٥.

(٥١) أمراء البيان: ص٣٤٠. (٥٢) أمراء البيان: ص٢٧٢.

(٥٣) أمراء البيان: ص٢٧٢.

(٥٤) الأغاني: ٤٦/٢٣(طبعة دار الكتب).

(٥٥) كتب ابن الزيات هذا الكتاب عندما قبض الافشين على بابك الخرمي وذلك سنة ٢٢٣هـ اي بعد تولي ابن الزيات الوزارة بثلاث سنوات وذلك سنة ٢٢٠هـ يؤكد ابن الأبّار في كتابه إعتاب الكتّاب أن ابن الزيات هوالذي كتب هذا الكتاب فيقول:((وحكي أن المعتصم شاور بعض خاصته في محمد بن عبد الملك الزيات فاشار به فعزم عليه، ثم فتح بابك على المعتصم فسرَّ به وأحب أن يُنشأ فيه كتاب يبقي ذكره فاشار ابن ابي دؤاد عليه بتكليفه ابن الزيات ففعل ذلك، فكتب فيه كتاباً مشهوراً، أبرَ فيه على كل نسخة عملت في ذلك الفتح، ثم قلده وزارته)) (إعتاب الكتّاب: ص١٣٤).

وقول صاحب أمراء البيان: ((والمظنون أن الكتاب الذي كتب عن المعتصم الى ملوك الافاق من المسلمين عند قبض الافشين على بابك الخرمي، هومن كتابة محمد بن عبد الملك الزيات، لولا ما يحول دون هذا الظن من أثر التطويل فيه وعلى كل فهو مما كتب تحت اشرافه لان بابك قتل سنة ٢٢٣هـ وابن الزيات تولى الوزارة في سنة ٢٢٠هـ والكتاب باسلوب ابن الزيات أشبه، لا تكلف في الفاظه وتراكيبه، ويستبعد أن لا يجول قلم ابن الزيات في الموضوع الخطير الذي أقام الخلافة وأقعدها.)) (أمراء البيان: ص٢٧٥).

(٥٦) ينظر العصر العباسي الثاني . د. شوقي ضيف ص٥٩٥.

(٥٧) نفسه، ص٥٩٥.

(٥٨) القول بالمنزلة بين المنزلتين، أصل من اصول المعتزلة. إذ يقولون إنَّ الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر، بل هوفي منزلة بين الايمان والكفر. ينظر: فجر الاسلام، أحمد امين، ص٢٩٧.

(٥٩) ينظر ضحى الاسلام، احمد امين، ١٦٣.

(٦٠) نفسه: ص١٦٩.

# المصادر


١ ــ إعْتاب الكُتّاب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضائي العروف بابن الأبّار (٦٥٨هـ) تحقيق وتقديم الدكتور صالح الأشتر، ط١، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦١.

٢ــ الاغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني(٣٥٦هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، وكذلك طبعة الهيئة العامة للكتاب.

٣ــ آل وهب من الاسر الادبية في العصر العباسي ــ الدكتور يونس أحمد السامرائي مطبعة المعارف ــ بغداد، ط١، ١٩٧٩.

٤ــ أمراء البيان، محمد كرد علي، بيروت ــ لبنان، ط٣، ١٩٦٩.

٥ــ تاريخ الادب العربي(العصر العباسي الثاني) الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣.

٦ــ تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الاول) الدكتور طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١.

٧ــ تاريخ الأمم والملوك ــ محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨.

٨ــ تاريخ بغداد ــ الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان.

٩ــ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة(الشطر الثاني من رسائل العصر العباسي الاول) أحمد زكي صفوت، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بعصر ط٢، ١٩٧٦.

١٠ــ رسائل البلغاء . محمد كرد علي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٤ ١٩٥٤.

١١ــ رسوم دار الخلافة لابي الحسين هلال ابن المُحسن الصابي، (٤٤٨هـ)، تحقيق ميخائيل عوّاد، مطبعة العاني ــ بغداد ــ ١٩٦٤.

١٢ــ صبح الاعشى في صناعة الانشاء لابي العباس أحمد بن علي القَلْقَشَنْدي (٨٢١هـ) نسخة مصورة من الطبعة الاميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٣ــ زهر الاداب وثمر الالباب لابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري(٤٥٢هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٩٦٩.

لكتّاب في العراق في القرن الثالث الهجري(رسالة ماجستير) حسين صبيح العمؤسسة الاعلمي ببيروت، دار التربية بغداد ــ ١٩٧٥.

١٥ــ ضحى الاسلام ــ أحمد امين ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط٧، ١٩٦٤.

١٦ــ العقد الفريدلأبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه الاندلسي(٣٢٧هـ) شرحه وضبطه، أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥.

١٧ــ فوات الوفيات ــ محمد بن شاكر الكتبي(٧٦٤هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣.

١٨ــ فجر الاسلام ــ أحمد امين ــ دار الكتاب العربي، ط ــ ١، بيروت ــ لبنان ١٩٦٩.

١٩ــ الفهرست ــ محمد بن اسحاق النديم (٣٨٥هـ) مطبعة الاستقامة بالقاهرة، د. ت.

٢٠ــ قصص القرآن ــ محمدأحمد جاد المولى وآخرون، ط٨، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٩٦٤.

٢١ــ الكامل في التاريخ لابي الحسن علي بن ابي لكرم بن الاثير الجزري(٦٣٠هـ) دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٥.

٢٢ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ــ أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي(٧٦٨هـ) منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٠.

٢٣ــ معجم الادباء ــ لياقوت الحموي، مطبوعات دار المأمون ــ مصر، ١٩٣٦.

٢٤ــ معجم الشعراء ــ ابو عبيد الله محمد ابن عمران بن موسى المرزباني(٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

٢٥ــ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ــ لابن خلكان (٦٨١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، مطبعة الغريب، طبع الجزء الاول سنة ١٩٧٨.